

مدخلات لغوية

## اللغة الشعرية عند النخلة الضاد صورة من الظاء

أبو أوس إبراهيم الشماسان

يطلق العرب على لغتهم مفتخرين لقب لغة الضاد، وبهذا تغنى شعراؤهم منذ المتنبّي الذي قال:

وَبِهِمْ فُخْرٌ كُلُّ مَنْ نَطَّقَ الضَّادَ  
دَعَا وَدَّ الْجَمَانِي وَعَوَّثَ الطَّرِيدِ

ولكن هذا الحرف من العربية على الرغم من احتفاء الناس به هو من أقل الحروف استعمالاً في ألفاظها، ومن أثقلها على اللسان، ولم يستطع أحد المحافظة على نطقه كما وصفه القدماء بل اختلط أداؤه بأداء صوت آخر هو الظاء. ولعل الاحتفاء به مردود إلى أمرين أحدهما ارتباط الضاد بفصاحة

الرسول صلى الله عليه وسلم فروي أنه قال: (أنا أفصح من نطق بالضاد)، والأمر الآخر توهم القول بتفرد العربية بالضاد. وأما أهل الحديث فينكرون هذا القول فيجمعون على أنه موضوع. وأما الأمر الثاني فالخليل أكد في موضعين من معجم العين على أن الظاء هي الخاصة بلغة العرب، وابن فارس يقول إن الظاء والحاء للعرب. واختلف القدماء في وصف الضاد، فالخليل وصفها بأنها تخرج في شجر الفم أي وسطه، وأما سيبويه فغاية ما نفهمه من وصفه أنه صوت مطبق يصاحبه اقتراب اللسان نحو الأضراس من جهة الفم اليسرى أو اليمنى. والذي نميل إليه أن الجانبية أو الشدقية صفة لها. والأمر الذي يكاد يتفق عليه اللغويون هو اختلاط الصوتين الضاد والطاء. والمحدثون أشاروا إلى هذا، ولكنهم يشيرون إلى صورتين صوتيتين للضاد إحداهما وافية كاللاد والأخرى غير وافية وهي المطابقة للطاء. وما زلنا في البلاد النجدية وما جاورها لا نسمع غير الظاء، فكل ما يكتب بالضاد ينطق ظاء. ولم تعرف الضاد الوقفية في نجد إلا بعد توافد القراء من مصر والشام ونشرهم لطريقتهم في أداء الضاد، ومع ذلك ظل التمييز بين الصوتين غائباً وآية ذلك تظهر في تدوين أسماء الناس (الإعلام). وأما الضاد التي وصفها سيبويه، وألح المجددون على وجوب إيقان أدائها فهي في نظر الدارسين المحدثين كما هي في نظر القدماء من نخلة ومجودين قريبة من الظاء. ولم يسلم من الخلط بين الضاد والطاء قراء القرآن حتى رأينا علماء القراءات يؤكدون على وجوب الفصل بينهما، بل إن أمر اختلاط الضاد بالطاء يرد في بعض الروايات إلى عهد الصحابة. والذي نريد الانتباه إليه هو أنه ما كان لهذين الصوتين أن يختلطا لو أن لكل منهما مخرجه المبين لخرج الآخر. وهذا مؤشر قوي إلى أن الضاد في حقيقتها ظاء مع صفة إضافية هي الجانبية، فإذا فقدت هذه الصفة عادت إلى أصلها فاختلطت بذلك الأصل. وقال ابن زياد الأعرابي اللغوي المشهور (توفي سنة ٢٣١ هـ) إنه يجوز عند العرب أن يعاقبوا بين الضاد والطاء. وجاء في كتاب (بغية المرتاد لتصحيح الضاد) للمقدسي (١٠٠٤ هـ) أن من أفاضل الناس في القاهرة من ينطق الضاد ممزوجة بالداد المفخمة والطاء المهملة، وينكرون على من ينطقها قريبة من الظاء بحيث يتوهم بعضهم أنها هي. وذكر المقدسي اثني عشر دليلاً على أن اللفظ بالضاد كالطاء هو المقبول. وننتهي إلى أن الضاد ليست سوى الظاء ولكنها رسمت برسم يختلف عن الظاء، أي هما صوت واحد رسم برسمين (ظ / ض).

الرياض -

## واعظ الحداثة الأكثر أناقة وهدراً.. مدينة خاتمي

محمد عبدالله الهويل



والأناقة المفتعلة في أطروحات خاتمي هو ما عالجها في قضية الشباب والمرأة حيث خصص مجمل خطابه لهذه القضية (مقاربات في دور المرأة والشباب) والتي أطر في سؤالاً لا يباشر علة استخدام الشباب بالجمع والمرأة بالمفرد كما هو الدارج في الكتابات ذات الصلة. هل هذا الأفراد تفرد على المحمل الموجب أو السالب ولماذا (المرأة) معبراً عن الشباب.. هل لأن القطاعين النسوي والشبابي معطلان وغير مدمجين على وجه التمام في مشروع التنمية.

إن البسط في أفراد المرأة لغوياً قد يقضي بنا إلى تفكيك خلفيات ثقافية أو لغوية أو ترجمية والمحصلة أن المرأة في النسق الإصلاحي -ولاسيما الليبرالي- تمثل لحظة ضعف التاريخ الإنساني المصطبغ بالعنف والغرور والفصولية على مستويات عدة، حيث حشرها في زاوية العملية التاريخية واستلب منها عضويتها الطبيعية في الجماعة الإنسانية، وقد يكون هذا مبرراً أو واعياً في معاملتها معاملة المفرد أثناء الحديث عن حقوقها.

الدكتور خاتمي الطامح والواعظ الإصلاحي يبدو أكثر حيطة ساعة يعبر الهامش الزجاجي (المرأة) -ولاسيما الإيرانية- وأطرها الضيقة الفضفاضة ومنظومة التكالف الدينية والاجتماعية التي تحملها خلف التناظر (الحجاب) إلا أن يتفادى التوتر العالق في الربط المباشر بثقافة الثورة الإيرانية وتجسير استكمال بلوغ المرأة حقوقها إلى أهليتها كعضو فاعل في المجتمع الثوري الخادم المطوع لمعطيات الثورة واستمراريتها، ويأتي إقحام الفلسفي في هذا الشأن لمنح المرأة خياراً داخل الخيارات لإضفاء المسحة الفلسفية على الدرس الثوري وانسجامه مع كيفية الإنسان الجديد.

إن وظيفة المرأة عند خاتمي غير واضحة المعالم بوصفها عنصراً قابلاً للدمج الحضاري بل لا يكاد يتجاوز نقاش مهمتها ما طرحه سابقوه من أن حضورها مهم وفاعليتها ضرورية وكل ذي صلة بالكفاءة والعلم والمثابرة. دون أن يكشف خاتمي برنامجاً عملياً له سقوف محددة من شأنها أن ترشح



خاتمي موجهة متفوقاً في هذا المجال. من حقنا أن نسائل هذه الخلفية الفلسفية الثرة التي يحملها خاتمي عن ضمور ما قدمه للمرأة. إن الحالة الثورية فكرياً هي حالة ذات محرض فلسفي تتجاوز الشرط الثوري الذي أملهته دروس الثورة الإيرانية.. فأين وإلى متى يحتفظ خاتمي بما قد يتصادم مع الثابت الثوري الإيراني وهو الذي يشاغب بحذر المنطقة المجانية للمسابحة (العادات والتقاليد) في حين أن الثورة باتت في عداد العادات والتقاليد الإيرانية غير أن خاتمي يتراجع بخفة للاحتفاء بثوابت الثورة غير أن تماهر مع الممكن الممتنع في فضاء المرأة الإيرانية. ومما يجدر الإلماح له أن المرأة الإيرانية ذات تعددية طبيعية وقابلة للتأثير الثوري وذات رصيد ثقافي متصادم في مكوناته الذي ورثته في عهد الشاه منحها بعداً استقلالياً صوتته به للثورة وللثورة على الثورة فالتعامل مع هذا المزيج عصي إلا على من ينطوي هو الآخر على مزيج غير معلنة وهو محمد خاتمي.

### الشباب الإيراني والأسئلة

يتخطى خاتمي المرأة دون أن يفعل جانباً مهماً في قلقها الوجودي والجمالي وهو إمكانية طرحها الأسئلة ساعة تفاعلها مع وجودها وتفاعلها معها وهل المرأة كئيلة من الإجابات المندمجة مع الثورة بوصفها الإجابة الكبيرة لكل أسئلة الإنسان الإيراني.. إذا ما مغزى الإحاح خاتمي على عقد قران حاد ما بين الشباب والأسئلة. يأتي هذا فقط في المناخات الأكاديمية وتحديداً عند نقاش دور الجامعة والمحاضن العلمية والتربوية ومدى قدرتها على استيعاب حجم الأسئلة وتأمين الإجابة لها.

الباعث الفلسفي القائم على التحريض على مسالة الثقافة في شتى بناها كان المحرك الأول لدمج الأسئلة بالحالة الشبابية وعلى الأخص الإيرانية إذ الثورية هي القدر الحتمي للشباب الإيراني، وتبقى هذه الأسئلة هي الضامن الوحيد لتصريف الطاقة الثورية في قنواتها المدنية، ولا يتأتى هذا دون توسيع نطاق الحوار المدني كونه مداراً قريباً من النواة الكبرى (حوار الحضارات) الذي تنهه د. خاتمي وعقد له اللقاءات والندوات والرحلات. إن مدينة خاتمي كما يبسط في كتابه هي مدينة الشباب حيث الأسئلة ذات الإجابة المفتوحة وحيث يكون السؤال فاتحة أسئلة وحيث لا إجابة بل الإجابة هي البحث عن الإجابة وفي هذا الصخب المدني يتنامى شعور الشباب بحيوية البحث والشك في التفاصيل ينتهي إلى تدشين مساحات من الاتفاق والاختلاف يحاول خاتمي أن يجذبها دون أن يدمجها في درس الثورة ويجعل من خيارات الإجابة دافعاً إلى الامتثال للمخرجات الطبيعية لحرية السؤال وأن يتقبل القيد بوحي وترحاب -بحسب تعبير خاتمي- لكنه في الآن ذاته قيد يقاوم العقلية التاريخية!!؟.

### مدينة خاتمي فارسية أم إيرانية

براغماتية من نوع آخر يتمتع بها خاتمي وهي إضافة الطابع الوطني والإنساني لا القومي على أطروحاته حتى لا يشاغب الرقيب الفلسفي أو أن يتوغل في جدل قومي في عصر عدم القوميات، أو أن يخدش شخصيته الزعامية الرسمية كونه سيبقي يتمتع بظلال قيادية لها أطر ومحددات عصبية على التكيف إلا أنه منجذب طوعاً وكرهاً إلى سقوف فلسفية ذات مرجعيات لا يستقيم تصنيفها إلا فارسية يتقاطع فيها بنقل مع الفكر الثوري علي شريعتي بمشروعه الإنساني الكبير المنحصر من البر بقوميته الفارسية المصلحة إيران والحاحها الإسلامي. المفران تحركاً في مفتتح تلقيها المعرفي في الدرس الإشراقي العرفاني الصوفي الذي رمى بظلال شفيفة على مساحات شعورية رحبة كان من شأنها توجيه الذوق والفكرة إلى مناح شتى تتجلى عند جلال الدين الرومي والشيرازيين المؤسسين لعلاقة فارسية عرفانية بحته لعبت اللغة الفارسية والخيال الفارسي والشك الفارسي واليقين الفارسي أدوارها النافذة في تعميق القران في طبيعة التقني والتأويل والتناهي مع التفاصيل وفي آفاقها تتشكل مدينة خاتمي القلقة مع إيرانياتها إزاء فارسيته، وإسلاميتها إزاء فارسيته عند شريعتي ليعزز خاتمي الصيغة المدنية وي طرح الأسئلة والخيارات ليختار أبناء مدينته القيد عن وعي وترحاب.